اللعنات في نقوش المقابر النبطية في الحجر [مدائن صالح]

زياد مصطفى الشرمان

ملخّص: إن أغلب اللعنات التي وردت في النقوش النبطية من الحجر كان الهدف منها حماية القبور من العبث أو الإنتهاك أو المساس بها؛ سواءً كان ذلك بالبيع، أو التأجير، أو التصرف بها أو بمحتوياتها، أو تغير الكتابة التي عليها. فقد جاءت صيغ هذه اللعنات متشابهة في تراكيبها، والهدف منها مع بعضها بعضاً، إذ احتوت على عقاب مباشر؛ بدفع غرامة للإله أو الكهنة أو الحاكم؛ أو غير مباشر، يكون بلعنة من إله واحد أو مجموعة آلهة، إن خالَفَ المنتهك ما جاء في مضمون الوثيقة وبنودها. لذلك قسمت صيغ اللعنات إلى نمطين: حمل الأول اللفظة «لعن»، في حين كان الآخر من نوع اللعنة الضمنية التي لاترد فيها هذه اللفظة، وقد تم مقارنة هذه اللعنات مع مثيلاتها في الشرق الأدنى القديم.

Abstract: *Most inscriptions of curses found in Hegra aimed at the protection of burials. These spells are cast against whoever may defile or mess up with the graves, be that in selling, renting, or making use of the grave or its contents, or altering the inscription it bears. The imprecations followed similar forms and served similar ends. They all invoke either direct or indirect punishment. The direct punishment involves some material fine to be paid to the deity, clergy cast, or governor. The indirect invokes that the culprit be damned by one or a group of deities if he violated any of what the inscription demanded. Curses, therefore, are divided into two types. The first addresses those where word "damn" appears; the second deals with those in which the curse is implied even though the word as such does not appear. All imprecations have been compared to those known in the ancient Near East.*

عُرفت اللعنات واستُخدمت في كل ثقافات العالم، على مرّ السنين والأيام، وكانت تظهر بوضوح في ثقافات معينة، كما هو الحال عند الشعوب السامية؛ إذ ظهرت في طقوس حماية النقوش والوثائق المهمة سلسلة من اللعنات، كانت شائعة لوقت طويل في الشرق الأدنى القديم. وأحد أفضل الأمثلة على ذلك شريعة حمورابي، التي احتوت نحو ستة عشر سطراً في الأعمدة الخمسة الأخيرة منها، كان ذلك من خلال مباركة قصيرة نسبياً أُطلقت على كل مَن يحفظ القوانين ولا ينتهكها. هذه المباركة تبعتها سلسلة من اللعنات ضد الشخص الذي لا يحافظ على القوانين، ويقوم بإبطالها وإلغائها وانتهاكها، أو يقوم بتحطيم اسم حمورابي: «اذا لم يسمع إنسان هذا الكلام المنقوش على هذا النصب ونسي لعنتي، ولم يخف لعنة الآلهة، واذا لم يراعِ هذه الاحكام التي نظمتها، فليصبه انليل الذي يقرر المصائر بمصير أعمى، وليجعل حياته تنساب كالماء».

وهكذا، يمكن للمتتبع أن يجد العديد من اللعنات في المصادر الكتابية في الشرق الأدنى القديم مثل: النقوش الملكية ونقوش المعاهدات والنقوش القبورية وغيرها. كما ورد الفعل لعن في القرآن الكريم عدة مرات، وممن يلعنهم الله سبحانه وتعالى، على سبيل المثال، الكافرين: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ (الأحزاب: ٦٤). وربما في هذا انتقلت تقاليد اللعنات من الشرق الأدنى القديم إلى نظام الأخلاق الإسلامية.

تبرز هذه الدراسة المعتقدات الدينية والسلوكية عند الأنباط، وتأتي أهميتها في أنها من الدراسات الأولى التي تركز على اللعنات وصيغها في النقوش النبطية، اذ لم يحظ

(ص ص ٢٣-٣٦) ردمد ٨٩٤٧-١٣١٩

هذا الموضوع باهتمام كاف من الباحثين، كما لم يتم تناوله بشيء من التفصيل من قبل دارسي النقوش، وإنما تطرّق إليه بعضهم بصورة عَرَضية، وذلك في سياق دراستهم لهذه النقوش؛ في حين كان جلُّ اهتمام الباحثين التركيز على اللعنات في العهد القديم، لما لها من أهمية في الأدب التوراتي، وما تشتمل عليه من مفاهيم واعتبارات تنعكس على الجانب الروحي الديني العقائدي لبني اسرائيل. ولفت عدد من الباحثين الأنظار إلى اللعنات المرتبطة بحماية نصوص النقوش السامية الغربية[١]، إذ وردت اللعنات والمباركات بشكل مستمر في الشرق الأدنى القديم، وخصوصاً في الوثائق أو النقوش، التي كانت تحمى بصيغ لعنات[٢]، كما استخدمت اللعنات في نصوص المعاهدات لتؤكد حفظ المعاهدة أو لحماية نصها.

إن نقيض اللعنة هي المباركة، وهي لغةً من البركة، وتعني النماء والزيادة. والتبريك: الدعاء للإنسان أو غيره بالبركة. فيقال برّكت عليه تبريكاً أي قلت له: بارك الله عليك. وبارك الله الشيء، وبارك فيه وعليه: وضع فيه البركة. وروى ابن عباس: ومعنى البركة الكثرة في كل خير. وابتركت السحابة اشتد انهلالها، وابتركت السماء وأبركت دام مطرها (ابن منظور، المجلد ١٠: ٣٩٥-٤٠٠). أما اللعنة لغةً، فهي من اللعن: الإبعاد والطرد من الخير، أو الطرد والإبعاد من رحمة الله. أما من الخلق فهي السبُّ والدعاء. ولعنه يلعنه لعناً: طرده وأبعده (ابن منظور، المجلد ١٣: ٣٨٧).

واللعنة اصطلاحاً هي عقوبة رادعة لكل من يقترف خطيئة تمسُّ أيَّ معالم مقدّسة أو منجزات مادية، تعود ملكيتها لشخص ما، كالقبور والنقوش والمسلات والأنصاب والمباني؛ امتدت إليها يد الدنس لتخريبها أو نقلها من مكانها، أو استخدامها وأخذ شيء منها، أو أرادت أن تضيف إليها أشياء، أو أرادت أن تكشفها بهدف البحث عن معادن أو قطع أثرية نفسية. كما أن اللعنة هي الرغبة في التعبير أو التمني بحصول مكروه أو سوء حظ يصيب شخصاً أو كائناً أو مكانا أو غرضاً؛ وقد تعني الرغبة بإلحاق الضرر من قبل قوة خارقة للطبيعة، كالآلهة أو الأرواح وغيرها؛ كما أنها تأتي بعدة أشكال مثل الدعاء، والصلاة، والتعويذة أو السحر.

وتتخذ اللعنة في النص الديني شكلاً من أشكال الرغبة لمنع الخير أو البركة عن الشيء أو الشخص الملعون، ولكن مع ذكر اسم الله فيها، فيقال: «لَعْنَةُ الله عليه أو لَعَنَهُ الله»، وغالباً ما تكون هذه الرغبة صادرة عن الله (الرب) أو من أنبيائه أو حتى ملائكته، وتأثير اللعنة مقرون بقبول الرب لتنفيذ تلك الرغبة للشخص، تبعاً لقوة صلته معه، كأن يكون صالحاً أو نبياً.

وبناءً على ذلك، فإن من أهم أهداف اللعنة هو استجداء قوة من قبل شخص ما لكي توقع هذه القوة الأذى على مَن يقوم بفعل لايُرده طالب اللعنة، وبشكل عام في الشرق الأدنى القديم تتمثل هذه القوة بالآلهة للإيقاع بالأعداء والمنتهكين ومعاقبتهم (Crawford 1992: 97- 155). كما أن للَّعنة بُعداً أخر يشمل نواح أخلاقية؛ كالخيانة، والغدر بين أطراف لم تلتزم بالمعاهدات المبرمة لديهم. وقد تأتي اللعنة بسب مخالفة شعب لملك توخّى منهم التعظيم والتقدير.

تكمن أهمية الدراسة في معاينة اللعنة في نقوش مقابر الحجر النبطية ومقارنتها مع ما يرد من لعنات في لغات سامية أخرى (الخريطة ١)، خصوصاً تلك التي ترد في المصادر الآشورية والفينيقية والآرامية ونقوش شمالي الجزيرة العربية وجنوبيها، على الرغم من أن نقوش مقابر الحجر النبطية جاءت على وتيرة واحدة، وأن بُنية التركيبة لصيغ اللعنات فيها لا تختلف كثيراً عن بعضها بعضاً؛ كما أن اللعنة فيها ارتبطت بحماية القبور وما كتب عليها من أن تنتهك حرمتها، بينما أظهرت الدراسات التي قام بها بعض الباحثين على نصوص المعاهدات في الشرق الأدنى القديم والتي تحتوي صيغ لعنات أنَّ تركيبة نصوصها جاءت بسياق غير موحّد، لكن جميع هذه المعاهدات احتوت عناصر أساسية، هي: مقدمة ذكرت أسماء أطراف المعاهدة، شروط التعاقد، قائمة بأسماء الآلهة التي ضمتها المعاهدة كشهود عليها، ولعنات موجهة إلى كل مَن سيعتدي على المعاهدة أو يدنّسها.

فقد كانت اللعنة في المعاهدات من الألف الثانية ق. م تتكون عادةً من صيغ ثابتة وقصيرة نسبياً، بينما كانت المعاهدات الآشورية والآرامية من الألف الأولى تحتوي لعنات متقنة مثل إبعاد النسل عن المنتهك والمدنِّس، تحطيم اسمه، زوال اسمه ونسله، وأن لا يكون له ولد أو

الخريطة ١: مواقع النقوش بمحافظة العلا

ذرية (Fensham 1963: 155-175)، ولعلَّ من الأمثلة على هذه اللعنات ما جاء في وثيقة الملك أدريمي ملك الالاخ: فليستأصل نسله وليلعنه إله السماء (مرعي ١٩٨٨: ١٠٣-١٢٦). أما النصوص الآشورية فقد ورد فيها: مَن يزيل كتابي واسمي ربما آشور السيد يزيل اسمه وذريته من الأرض، وربما عشتار سيدتي تحدث خراباً في الأرض. ومَن يزعج مسلتي ويزيل كتابة اسمي. ربما آشور الإله الذي يسكن في إيهار سجكور كورزا، وإيجيجي إله السموات، وآنكونكي إله الأرض كلهم يمقتونه وبلعنة مشؤومة يلعنونه بغضبهم. اسمه وذريته ربما يخفونها من الأرض (Luckenbill 1968: 35 & 42). الذي يزيل اسمي ويكتب اسمه فقط مكانه، أو يحطم نصبي التذكاري، أو يسلمه إلى الدمار، أو يرميه في النهر، أو يدفنه في الأرض، أو يحرقه في النار، أو يلقي به في الماء، أو يأخذه إلى غرفة مظلمة في مكان لن يُرى ويضعه هناك... ربما آشور الإله العظيم الذي يسكن في إيهار سجكور كورزا، وآنو، وأنليل، وايا، وعشتار الآلهة العظام، وإيجيجي سيد السموات، وآنكونكي، كلهم ينظرون إليه بغضب عظيم، ويلعنونه بلعنة شريرة، وسيزيلون اسمه وذريته وأطفاله وأحفاده من على وجه الأرض...(Luckenbill 1968: 17 & 28-9).

ولأن موضوع منح الذرية أو العقم من جهة، والمباركة واللعنة من جهة أخرى من الأهمية بمكان في الشرق الأدنى القديم والعهد القديم - ذلك لأن اللعنة كانت عكس المباركة- فإن أهم اللعنات التي قد تصيب الكائنات هي عدم قدرة الإنسان على أن تكون له ذرية. فقد وردت لعنة القضاء على النسل والذرية وإبادتها أيضاً في وثيقة ملك ماري يخدون - ليم: يونيني وزير شماس الكبير، ليقص حياته، وليبيد ذريته أحفاده واسمه (مرعي ١٩٨٧: ٩٩-١٠٧). أما ألواح أو جاريت فقد حملت لنا: بالسيف شطر السلالة وبالنفي تفرقت السلالة في النار أحرقت السلالة (ديل ميديكو ١٩٨٩: ١٤٩). وجاء في نقش تيماء الآرامي: وأي إنسان يتلف هذه المسلة فآلهة تيماء يطردونه وذريته وأحفاده من (على) وجه (مدينة) تيماء (الذييب ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: ١٧٢، نق ٣٢). اللعنة التالية وجدت في النقوش التدمرية: لا يكون له ذرية إلى الأبد (Hillers 1996: 108). ونقرأ في العهد القديم: «من تحت الأرض تيبس أصوله، ومن فوق يقطع فروعه، ذكره يبيد من الأرض، ولا اسم له على وجه البر» (أيوب ١١:١٨-١٢).

إنَّ الهدف من اللعنة في نقوش مقابر الحجر النبطية يتعلق - كما ورد سابقاً - بحماية القبور من التدنيس والانتهاك وصونها، والحفاظ على جثة الميت من العبث والإعتداء. ذلك لأن هذه الإمور تجعل الإنسان قلقاً على ما أنجز، ولأنه يريد لمنجزاته البقاء والخلود حتى بعد مماته لكي لا تصل إليها يد العبث والتدمير والسرقة، وحتى لا تُمسَّ جثة الميت.

نقرأ في إحدى النقوش النبطية (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩١): (ا ل هـ ت ري ج و خ ي ا د ي ح و ش ب ب ر ن ف ي و وع ب د (ا) ل ج ا و ح ب و ب ن وهـ ي ب ن ي ش هـ م ف ي ل ع ن ف ر ش ل ي ل ي ا م ن ي م م ا م ن دي ي ن ف ق ي ت هـ م ل ع ل م). «هذان اللحدان لحوشب بن نفي وعبدالجا وحب ابنيه (من) بني سهم ويلعن مفرق الليالي من الأيام من يُخرجهم إلى أبد الآبدين». ويبدو أن الغرض من كتابة هذا النقش هو الإعلام بملكية صاحب النقش للَّحدين، وحفظهما إلى الأبد، وربما يعتقد الأنباط - كما هو الإعتقاد لدى سكان

الشرق الأدنى القديم – أنَّ حماية المعالم القبورية والنقوش تصان إلى الأبد، والسبب في ذلك، من دون شك، أنهم يعتقدون بأن هناك حياة أخرى، وربما يؤكد ذلك التعبير (ل ع ل م) «إلى الأبد»، الذي يرد في هذا النص ونصوص أخرى، إضافة إلى التعبير (ل ع ل م ع ل م ي ن)« إلى أبد الأبدين» اللذين لهما علاقة بهذا الاعتقاد؛ أما عبارة مفرّق الليالي من الأيام الواردة في النقش أعلاه فهي على الأرجح إحدى صفات الإله ذو الشرى.

وقد أسست مقابر مدائن صالح لتكون في المقام الأول لأفراد العائلة فقط، وأنَّ كل مَن يدفن في هذه القبور من خارج أفراد العائلة، دون إذن من مالكي هذه القبور، يكون ممنوعاً ومحرماً في القانون (Abdelaziz 2005: 192). كما أنَّ كل مَن يعتدي على ما هو مكتوب على الضريح، وجب عليه دفع غرامة، وقد اختصت نقوش مقابر مدائن صالح أن تدفع غرامة الإعتداء على القبور مقسّمة بين الإله (من خلال كهنة المعبد) وبين الملك (السلطة السياسية)، أما في بعض النقوش فقد كانت هذه الغرامة تدفع للإله (ذو الشرى) فقط، في حين حملت نقوش أخرى تهديدات مزدوجة تمثلت في لعنات إلهية وغرامات (Khairy 1980: 165).

لقد ولدت فكرة الحق في المجتمعات القديمة من الديانة القديمة، وكانت العلاقات بين الناس وقضايا المُلكية والأصول تنظم وفق مبادئ هذه الديانة وعلى ضوء حاجاتها وليس على أساس مبادئ المساواة الطبيعية، فكان الدين هو السيّد المطلق في الحياة الخاصة والحياة السياسة معاً. وكانت المُلكية كغيرها من الأشياء تحت حماية الدين أي الخوف من الآلهة، كما أن سرقة مال الآخرين كانت تعدُّ جريمة فظيعة؛ لذلك، كانت تطلق لعنات رهيبة ضد السارق أو مَن يعتدي على مُلك غيره. ومن الأمثلة على ذلك في النقوش موضوع الدراسة: (د ن هـ ج و خ ا د ي ع ب د ت و ش و ح ب ر ت ب ج (ر) ت ل ن ف س هـ ب ج و و ج ر ا د ي ل هـ و ل ب ن ت هـ م ن د ي ي ت ف ت ح ي ت هـ ا و ي ن ف ق ي ت هـ م ن ج و خ ا هـ و ل ع ل م ا ف ا ي ت ي ع م هـ ل م ر ا ن ا ح ر ث ت م ل ك ن ب ط و ر ح م ع م هـ س ل ع (ي) ن ا ل ف ح ر ث ي و ل ع ن ذ و ش ر ا ا ل هـ م ر ا

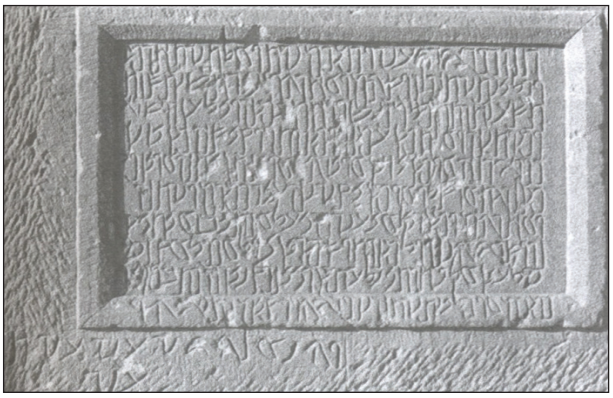

اللوحة ١: نقش ٢٠٥

ن ا و ا ل هـ ي ك ل هـ م م ن د ي ي ن ف ق و ش و ح د ي م ن ج و خ ا د (ن)هـ ل ع ل م و ش هـ د ب د ن هـ ل ع ن ت ذ و ش ر ا و ا ل هـ ي ا ك ل هـ م)، «هذا اللحد الذي عملته وشوح بنت بجرت لنفسها بداخل المقبرة لها ولابنتها والذي سيفتحه أو يخرجهما من اللحد هذا إلى الأبد فليحضر معه لسيدنا حارثة ملك الأنباط محب شعبه ألف قطعة حارثية ويلعن ذوالشرى إله سيدنا والآلهة كلهم مَن يُخرج وشوح هذه من اللحد هذا إلى الأبد، وشهد على هذه اللعنة ذو الشرى والآلهة كلهم»(الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٠٠)،(و ي ل ع ن ذ و ش ر ا و م و ت ب هـ و ا ل ت م ن ع م د ن و م ن و ت و ق ي س هـ م ن ي ز ب ن ك ف ر ا د ن هـ ا و م ن ي ز ب ن ا و ي ر هـ ن ا و ي ن ت ن ي ت هـ ا و ي ن ف ق م ن هـ ج ت ا و ش ل و)، «ويلعن ذو الشرى وعرشه واللات من عمند ومناة وقيس مَن يبيع المقبرة هذه أو مَن يشتريها أو يرهنها أو يمنحها أو يُخرج منها جثة أو عظماً» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٠٥) (اللوحة ١). ومما لا شك فيه أن الجانب الأخلاقي في اللعنة يرتكز على ضبط القواعد والأصول للمحافظة على المعاهدات وصكوك المُلكية والالتزام بتنفيذها وتطبيقها. وما وجود اللعنة على القبور النبطية إلا بمثابة تنكيل وتأنيب وتحقير لنفس المدنّس، التي تتوق لتصرفات ممقوته بغيضه تثير الاشمئزاز في النفوس؛ سواءً كان ذلك بفتح القبر أو إخراج لجثة الميت أو عظامه، وربما ممتلكاته. ومما لا شك، فيه أن قيمة هذا النوع من اللعنات لا بد وأن يأخذ بعين الاعتبار أن هناك علاقة ما بين القوة والإله المتوسل إليه؛ لأن قوة الإله تؤثر بوضوح على كفاءة لعناته؛ إذ إن الآلهة

العليا أو الرئيسة توقع لعنات أكثر قسوة وتأثيراً من الآلهة الأخرى؛ ولهذا، نجد أن اسم الإله (ذو الشرى)، إله الأنباط الرئيس، هو الأكثر تكراراً في نقوش مقابر الحجر، لإيقاع اللعنات على المستهدفين منها. ولعل من اللعنات التي وردت على حماية المُلكية والقبور عند الشعوب السامية نقرأ في معاهدة أسرحدون: إذا أزلت اللوحة تسلم إلى النار وترمى في الماء تدفن في الرماد... (Pritchard 1969: 538).

وفي اللغة الفينيقية جاء في نقش يحوملك: كل حاكم وكل رجل يضيف على المذبح هذا، وعلى المدخل الذهبي هذا، وعلى الغرفة تلك، اسمي أنا يحوملك ملك جبيل تضع معك العمل هذا، وإن لم تضع اسمي معك وإن تبعد العمل هذا وتنقل... مع أساساتها على المكان هذا وتكشف مستوره تخربه السيدة بعلت جبيل الرجل هذا وذريته (Donner and Rölling 1968-1979: no. 10). وورد في نقش جبيل الثالث عشر: بالتابوت أنا لوحدي، وهكذا انظر، أنا أرقد بالتابوت هذا، وأضيف من المر ومن الحجر الكريم... لأجل فتح ما هو فوق التابوت هذا، وازعاج عظامي، فإن هـ ع ج العظيم يثأر لي من كل الأجيال... (Röllig 1974, Band 2: 1-15). ونقرأ في نقش كنمي خادم اشمون عمس البوني: وكل مَن يزيل الحجر هذا بدون أمري وبدون أمر إنسان باسمي تقضي تنت وجه بعل ضد روح الإنسان هذا (CIS no. 3785).

وجاء في اللغة الآرامية في نقش النيرب الأول: شنزر بن كاهن شهر بالنيرب ميت هذا صنمه وقبره. مَن أنت الذي تسحب الصنم هذا والقبر من مكانه، فإن شهر وشمش ونكل ونسكو ينسخون اسمك ومكانك من الحياة، وموت شرير يقتلونك ويُبيدون ذريتك (أبو عساف ١٩٨٨: ١١٠-١١٢). أما في نقش هديسعي فقد ورد في السطرين ١١-١٢: والذي يمحي اسمي منه ويضع اسمه هدد العظيم فليكن أمامه (Lipinski 1994: 19-81). وفي نقش زكور: وكل مَن يمحي أثر زكور ملك حماة ولعش من النصب هذا، ومَن يمحي النصب هذا من أمام ألور، ويسحبه من مكانه أو يرسل ابنه. فيقتلوا بعل سمين وألور وشمس وشهر وآلهة السموات وآلهة الأرض وبعل الرجل وابنه ونسله (Gibson 1975: 19-81). وورد في نقش السفيرة: ومَن لا يحمي كلمات النقش التي في النصب هذا ويقول: «سأزيل بعض كلماته أو أقلب الجيد وأغيره بالشر في اليوم الذي يعمل هكذا فيقلبوا الآلهة الرجل هذا وبيته وكل الذي فيه ويجعلوا أسفله لأعلاه ولا يرث نسله اسم» (Sader 1987: 120-152).

وورد في النقوش السبأية: (و ر ث د هـ ع ث ت ر ش ر ق ن ب ن ا ن س خ ر ش هـ و ش ت ر هـ)، «وجعل القبر تحت حماية عشتر الشرق (ع ث ت ر ش ر ق ن) ضد كل مَن يحطّمه أو يخرّبه» (CIS no.450). كما ورد في نقوش جنوبي الجزيرة العربية: هذا المَعلم الخالد يعود لصدق إيل بن ودوم ملك أو سان، دعه يبقى في هذا الوضع إلى الأبد. لا يسمح لأحد أن يحمله من مكانه لفائدة نصب خالد آخر ربما سيتم إنشاؤه (RES no. 3884).

وحملت النقوش السريانية لعنات نقرأ منها على سبيل المثال: مَن يُبدّل العظام التي في هذا القبر هو مهدد بالسوء ولعنة الإله (م ر ا ل هـ ا). أما في العهد القديم فقد جاء «لا تطمع ببيت جارك، لا تطمع بامرأة قريبك ولا أمته ولا خادمته ولا ثوره ولا حماره ولا بأي شيء يملكه» (الخروج ٢٠: ١٧).

كما ظهرت اللعنات في النقوش الصفوية، وفيها تضرع كاتبوها إلى الآلهة اللات ورضى ويثع وشيع القوم وجاد وبعل سمين، وطلبوا فيها من هذه الآلهة أن تُنزل لعنة العمى أو الموت على المخرّبين والمعتدين، ومن الأمثلة على ذلك: (ع و ر ل ذ ي ع و ر هـ س ف ر) «العور لكل مَن يُخرّب (يمحو) النقش» (Parr et. al. 1968: 36). (و هـ ي ل ت م ت ل ذ ي ع و ر هـ س ف ر)، «فيا اللات الموت لكل مَن يخرب (يمحو) النقش» (Oxtoby 1968: no.154). (و هـ ل ت ع و ر ل ذ ي ع و ر هـ خ ط ط) «فيا اللات العمى (اعم) كلَّ مَن يُدمِّر الكتابة (المخطوط) (Winnett and Harding 1978: no. 681). وبالرغم من أن أكثر الألفاظ المستخدمة في اللعنة في النقوش الصفوية هي «ع و ر» بمعنى (يعمي، يعور)، والتي لها في العربية معنى (يحطم، يخرب)، فقد وجد في العربية الشمالية في بعض صيغ لعنات النقوش الصفوية الفعل «ل ع ن» بدلاً من «ع و ر» ليفي بالمعنى نفسه، كما في النقش الآتي: (ل ح ط ش ت ب ن ع و ض هـ خ ل و هـ ل ت ل ع ن ذ خ ب ل)، «لحطاست بن عوض هذه الخيل، وياللات العني الذي يُحطِّم (النقش) (Littmann 1940: no. 29). كما وردت

اللفظة ل ع ن في النقوش الثمودية (Harding 1954: 494)؛ أما في اللحيانية فقد ظهرت اللفظة «ع ر ر» في نهاية بعض النقوش: هـ م ص د ل م ر ا هـ ذ غ ب ت س ع د هـ و ع ر ع ر ر هـ س ف ر «هذا المصد لسيده ذي غيبة ليسعده، والأذى لكل مَن يُتلف (يُخرِّب) النقش»، (ف ع ر ر ذ غ ب ت ب ط ع ن ع ر ر هـ س ف ر) «فأذي بالطاعون يا ذو غيبة مَن يتلف النقش» (أبوالحسن ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م: اللوحات ٢٠٨ و ٢١٠)[٣].

ذُكر سابقاً أنَّ اللعنة لم ترتبط بحماية القبور فقط، وإنما ارتبطت كذلك بما كتب عليها من أن تنتهك حرمته: (و ل ع ن و ذ و ش ر ا و م ن و ت و و ق ي س هـ ك ل م ن د ي ي ز ب ن ك ف ر ا ... ا و ي ت ا ل ف ع ل و هـ ي ك ت ب «ويلعن ذو الشرى ومناة وقيسه كل مَن يبيع المقبرة... أو يضيف عليها كتابة»، و م ن د ي ي غ ي ر و ل ا ي ع ب د ك د ي ع ل ا ك ت ي ب «والذي يغيّر ولا يتبع المكتوب أعلاه»، و ل ا ي ك ت ب ب ق ب ر ا د ن هـ ك ت ب ك ل هـ ع د ع ل مْ وْ ك لْ اْ ن و س د يْ ي ن ف ق ب ي د هـْ ك ت ب م ن ك هـ ل ن ف ق ي م هـ و ك د ي ب هـ و ك ل ا ن و س د ي ي ك ت ب ب ق ب ر ا د ن هـ كْ ت ب م ن ك لْ د يْ ع لْ اْ ف ا ي ت ي ع م هـ ل ذ و ش ر ا ك س ف س ل ع ي ن ا ل ف ي ن ث ل ث هـ ح ر ث يْ و ل م ر ا ن ا ح ر ث ت م ل ك ا ك و ت و ي ل ع ن ذ و ش ر ا و م ن و ت و ك ل م ن ي غ ي ر م ن ك ل د ي ع ل ا) «ولايُكتب على المقبرة هذه أي كتابة إلى الأبد. وكل إنسان يُبرز بيده وثيقة من كهلان فيحق له بما فيها، وأي شخص يكتب على المقبرة هذه كتابة غير ما هو عليها فليحضر معه لذي الشرى مقدار ثلاثة آلاف قطعة حارثية ولسيدنا حارثة الملك مثلها. ويلعن ذو الشرى ومناة كل من يُغيّر ما هو مكتوب» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٧ (اللوحة ٢)، ١٩٨، ٢٠٩ (اللوحة ٣))[٤].

هذه الصيغ الواردة آنفاً، جاء ما يتشابه معها في بعض اللغات السامية؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، ورد في الوثائق الآشورية الصيغة: والذي يمحي اسمي ويكتب اسمه فقط عليه أو يُغطّيه بالتراب أو يرميه في الماء، هذا الملك ربما أنليل وأداد يُحطِّمون حكمه في الأرض. والصيغة: الذي يُحطِّم كتابتي واسمي ربما آشور الإله العظيم أب الآلهة يعامله كعدو، ويسحب منه الصولجان والعرش، ويقلب حكمه (Luckenbill 1968: 181).

اللوحة ٢: نقش ١٩٧

أما في اللغة الفينيقية، فقد جاء في نقش كراتيبة (Gibson 1982, vol. 3: no. 15): الذي يمحو اسم أزتود من المدخل هذا وأقام اسمه، وإن يشتهي المدينة هذه ويحطم المدخل هذا الذي فعل أزتود ويفعل مدخل غريب، وأقام اسمه عليه، إن برغبة يحطم، أو ببغض وبحقد يحطم المدخل هذا، فيمحو بعل شمم وإل خالق الأرض وشمس الأبدية وكل أجيال أبناء الآلهة المملكة تلك والملك ذلك والرجل الذي هو معروف فقط. وورد في نقش كلمو الأول (Donner and Rölling 1968-1979: no. 24): وإن أحد من أبنائي الذي يجلس بعد ويحطم النقش هذا فإن الموشكاب لا يحترمون البعرريم، والبعرريم لا يُمجِّدون الموشكاب. ومَن يحطم النقش هذا يحطم رأسه بعل صمد. ونقرأ كذلك الصيغة: وإن يدمّر النقش هذا فإن هذا الرجل يكون بيدي بعل وبيدي الرجل وبيد جماعة الآلهة (Donner and Rölling 1968-1979: no. 30).

وقد عُثر في نقوش اليمن القديم على مئات من نقوش التقدمات التي ذُيلت بتضرّعات للآلهة، تحمل لعنات من أجل حماية كاتبيها. وهناك أمثلة متعددة يُطلب فيها من الآلهة حماية الناس من الأذى والسحر والإضطهاد والظلم والإهانة وعدم الاحترام، وسحر الأعداء والأشرار، كما كانوا يضعون تقدماتهم وقرابينهم تحت حماية الإله ضد كل مَن سيحطمها أو مَن لديه الرغبة بالإساءة إليها (Maraqten 1998: 189-200)؛ ومن الأمثلة على ذلك: ربما يحميهم (إلمقة) من الذلِّ والإهانة والإنحطاط وسحر الأعداء

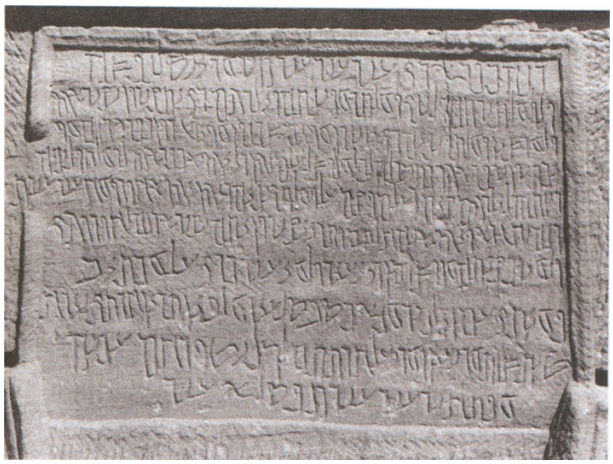

اللوحة ٣: نقش ١٩٨

(CIAS I, 48, 39, 11/ 3: no.1).

في عصر بلاد الإغريق الذهبي لم يكن أحد بمنأى عن اللعنات بما فيهم كبار القادة السياسيين والخطباء المفوّهين. وكان السحرة يعملون في السرِّ، ويدفنون التعاويذ مع الموتى، على أمل أن تنقلهم إلى العالم السفلي. وبعض هذه اللعنات كانت تخصص للخصوم في الدعاوي، وبعضها لجلب النحس لشخصية سياسية ما، وأخرى لإلحاق الأذى بالأعداء؛ وكانت تعاويذ اللعن هذه تسمى «كتاريس». وعلى أي حال، فإن مخطوطات اللعن هذه ليست فريدة في نوعها، بل عثر على مثيلاتها في مختلف بلدان البحر المتوسط؛ إلا أن المجموعة اليونانية تعكس حياة مجتمع كان في أوجه، وهو عصر بريكلس، قبل ٢٥٠٠ سنة. توفر الكتاريس أيضا أمثلة مدهشة على الصلة المباشرة بين الخرافات القديمة والحياة اليومية، إذ إنها كانت الوسيط المناسب للقضاء على الخصوم السياسيين. وثمة تعويذة من نوع مختلف بشكل أسورَة كانت توضع بين يديِّ الميّت، ربما لينقلها إلى العالم السفلي، أو ربما لزيادة قوة اللعنة.

ومن المسلَّم به أن الحاجة إلى قوانين ووثائق مكتوبة تنظم حياة الإنسان الاجتماعية والدينية والسياسية والاقتصادية من دون الاعتماد على الأعراف والتقاليد، لا يمكن أن تكون الإ في مجتمعات وصلت إلى مرحلة كبيرة في التقدم والرقيّ؛ فقد وضع الأنباط قوانينَ وأحكاماً تنظِّم جميع متطلبات حياتهم، وقد دوَّنوا ذلك في وثائق ظهرت في نقوشهم التي خلَّفوها لنا، وأشاروا إليها في النقوش التي ظهرت على مقابرهم: (ح ر م ك خ ل ي ق ت ح رم ن ب ط و و س ل م و ل ع ل م) « حرام كحرمة شريعة الأنباط وبني سلام إلى أبد الأبدين»، (و ا ي ت ي ق ب رْ ا د ن هـ ح ر م ك خ ل ي ق ت ح ر م ا د ي م ح ر م ل ذ و ش ر ا ب ن ب ط و و س ل م و) «وهذه المقبرة محرَّمة كحرمة الحرام المحرم من ذي الشرى لدى الأنباط والسلاميين»، (دي ي ت ق ب رون ب هـ اص د ق ب ا ص دق) «الذين يقبرون بها طبقاً للحق القانوني»، (ك ن س خ ت د ن هـ ي هـ ي ب (ب ب) ي ت ق ي س ا) «استناداً إلى النسخة المحفوظة في معبد ق ي س ا» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٠، ١٩٣، ٢٠٩، ٢٢٦)[٥].

فالدين والأخلاق كانا متلازمين في العصور الأولى، إذ إن هناك علاقة وثيقة بين الأخلاق والدين؛ لأن كل دين يحتوي على متطلبات أخلاقية، كما أن الوصايا الأخلاقية لها في الأصل خاصية الوصايا الدينية. وهكذا، كانت الحقوق والأخلاق مقدسة في منبتها، والالتزام الذي تتضمنه قوتها تنبع من الإرادة الإلهية، فأصبحت دينياً شبيهة إلى حد ما بالتزام العبادة: (و م ن دي ي ع ب د ك غ ي ر م هـ دي ع ل ا ك ت ي ب ف ا ي ت ي ع م هـ ل ذ وش را ا ل هـ ا ب ح ر م ا دي ع ل ا ل د م ي م ج م ر س ل ع ي ن ا ل ف ح ر ث ي و ل م ر ا ن ا ح ر ث ت م ل ك ك و ت) « ومَن يعمل غير ما هو مكتوب، فليُحضر معه لذي الشرى الإله بسبب التحريم المذكور أعلاه، غرامة مقدارها ألف قطعة حارثية، ولمولانا الملك الحارثة مثلها» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٠ (اللوحة ٤)). ولذلك من كتب الوصايا على المقابر النبطية ربما جعل من دوره كمشرع عملاً دينياً، وربما كان الناس يطيعون هذه القوانين والوصايا كي يتحاشوا نتائجها الضارة إذا ما عصوا.

وليست الخطيئة والكفارة سوى الجريمة والعقاب، فالطقوس هي التي تُنظِّم هذه العلاقات، وتهدف الطقوس إلى صيانة ما هو مقدس (المقبرة) خوفاً عليه من الضياع. وطقوس الكفارة ضرورية ومهمة عند الأنباط لكل مَن يفهم فكرة المسؤولية عندهم؛ فكما أن القربان يمحو النجاسة أو الخطيئة، فإن التكفير هو الذي يسمح للمخطيء بأن يستعيد نشاطه العادي ومكانته في الجماعة بعد أن يتخلص

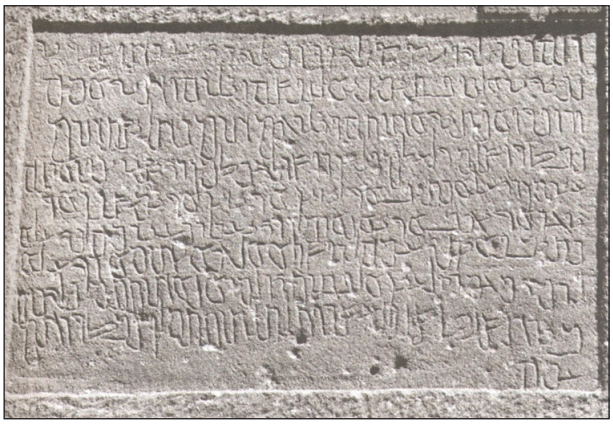

اللوحة ٤: نقش ١٩٠

من النجاسة. وربما استخدم الأنباط كلمة (د م ي/ ق ن س) «غرامة» (الذييب ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م: ٧٤ و ٢٣٠) كبديل لكلمة «عقاب» أو «كفارة»، إذ تغير طابع العقوبة الذي كان ينظر إليه خلال قرون على أنه عقوبة كالكفارة؛ فالمجرم لم يقم بواجبه تجاه المجتمع، وذلك بانتهاك مبادئه الأساسية، ولذلك يجب عليه أن يتحمل نتيجة ذلك، ويعاقب في أمواله بدفع غرامة كما ورد في النقش السابق والنقش التالي: (و م ن د ي ل ا ي ع ب د ك د ي ع ل ا ك ت ي ب ف ا ي ت ي ع م هـ ل ذ و ش ر ا و هـ ب ل و و ل م ن و ت و ش م د ي ن ٥ و ل ا ف ك ل ا ق ن س س ل ع ي ن ا ل ف ح ر ث ي) «ومن لا يعمل ما هو مكتوب فليحضر معه لذي الشرى وهُبل ولمناة خمس وحدات نقدية، وللكاهن غرامة ألف قطعه حارثية» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٠٥). وهكذا فإن اخضاع المجرم للعقاب يعني أنه يسدد دَينه، وعدم معاقبة الفرد المخطىء مخالف للأخلاق، وكل خلل بفعل شرير لا يعاد إلى حالته الطبيعة الإ بالعقاب، لذلك يجب على كل مخالفة أو انتهاك أن يعاقب صاحبها. هذا وقد اختلف الباحثون في تفسير كلمة «ش م د ي ن» الواردة في النقش أعلاه، فقد فسرها البعض «لعنات»، بناءً على الجذر «ش م د» الذي يعني باللغة السريانية «لعن» (الأنصاري ١٩٨٤: ٣١-٣٢)، وفسّرها آخرون «خمسة أضعاف»، أو أنها ربما تشير إلى مبلغ محدد ومعروف لدى الجميع، ويجب أن تدفع في ظروف معينة (Abdelaziz 2005: 193)، في حين اتفق بعض الباحثين مع قراءة الذييب بأنها تعني «وحدة نقدية» (Healey 1993: 160).

تبرز أهمية نقوش مقابر الحجر الأثرية، في أنها تؤكد بصراحة على عظم شأن حقوق الإنسان وحريته، ورفضها كل ما يتناقض مع ذلك حتى بعد مماته: (ل ا ي ت ق ب ر ب ك ف ر ا د ن هـ ا ن و (س ع د ي ي ا و ي ز)ت ب ن ا و ت ت ر ت ب ب هـ م و هـ ب ا (ا و ا و ج ر و) ا و ت ق ف ك ل هـ ل هـ ن هـ ن ي ك ت ب هـ ن ا و د ن هـ ا و ي ق ب ر م ن دي ي ص ب ا هـ ن ا و)، « ولن يقبر بالمقبرة هذه إنسان أجنبي؟ أو تباع أو يتصرف بها موهبة أو إيجار حتى ولو بسند (شرعي) غير ما يكتب هاني هذا. أو يدفن (بها) غير ما يريده هاني» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٤ (اللوحة ٥))، إذ كانت هذه النقوش بمثابة وثائق، تتضمن أحكاماً لا تنم عن قناعة شخص بمفردة، وإنما كان هناك مَن يقوم بتنفيذ ما نصّت عليه تلك الوثائق والعمل بها. فكان استحقاق العدالة يظهر كحقيقة ملكية إزاء جذب الرفق الإلهي واستمالته نحو الإنسان؛ فتأتي اللعنة التي يتمناها صاحب النقش على كل مَن يقوم بعمل جديد في المكان الذي بناه، فلم يقم هو بالتهديد مباشرة إلى كل مَن يقوم بهذا العمل، كما أنه لم يُجهِد نفسه ويثقلها بحماية عمله الخاص الذي قام به، وإنما اقتصر حقوقه على المقدس، ضامناً لعنات السماء على كل مَن يُخفي أو يقوم بعمل جديد يطمس ما قام به.

اختصت بعض اللعنات بالإيفاء بالعهود وعدم نقضها، واستخدم هذا النوع من اللعنات لحماية المُلكية، والأماكن المقدسة، والمعالم التذكارية ومحتوياتها؛ ويشير أحد كاتبي النصوص النبطية إلى أنه اختص نفسه وأولاده وأمه وأخويه وأولادهما بالمقبرة والمنصة والسياج التي أنشأها، وأنها حكرٌ عليهم، لايحق لأحد غيرهم الدفن فيها أو التصرف بها، سواءً كان ذلك بالبيع أم الشراء أم التأجير، وأن كل مَن يخالف ذلك فإن اللعنة ستحلّ به، وهي على نوعين: أ- اللعنة من الإله ذو الشرى (الفعل يلعن). ب- الغرامة للإله ذو الشرى وللملك الحارثة: (د ن هـ ك ف ر ا وب س س ا وك ر ك ا دي ع ب د ح و ش ب و ب ر ن ف ي و ب ر ال ك و ف ت ي م ن ي ا ل ن ف س هـ وي ل د هـ وح ب و ام هـ وروف و واف ت ي واخ وت هـ وي ل د هـ م ح ر م ك خ ل ي ق ت ح رم ن ب ط و و س ل م و ل ع ل م ول ع ن ذوش را ك ل م ن دي ي ق ب ر ب ك ف ر ا دن هـ غ ي ر م ن دي ع ل ا ك ت ي ب او ي ز ب ن او ي ز ب ن او ي م ش ك ن او ي وج ر او ي هـ ب او ي ا ن ا و م ن دي ي ع ب د ك غ ي ر م هـ دي ع ل ا

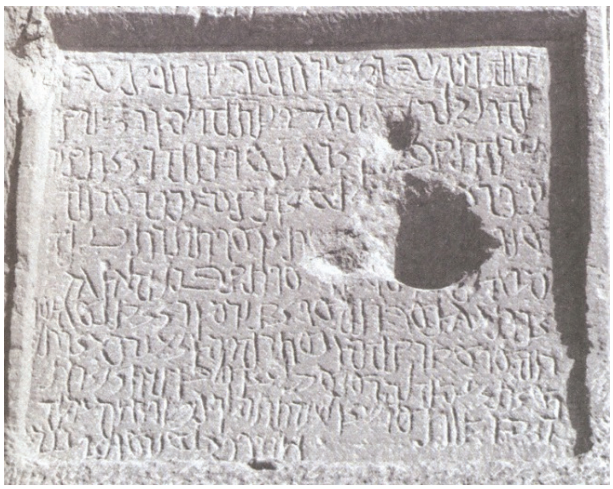

اللوحة ٥: نقش ١٩٤

ك ت ي ب ف ا ي ت ي ع م هـ ل ذ وش را ا ل هـ ا ب ح ر م ا دي ع ل ا ل د م ي م ج م ر س ل ع ي ن ا ل ف ح ر ث ي و ل م ر ا ن ا ح ر ث ت م ل ك ا ك و ت ب ي رخ ش ب ط س ن ت ع ش ر وث ل ث ل ح ر ث ت م ل ك ن ب ط ورح م ع م هـ) «هذه المقبرة والمنصة والسياج التي أنشأ حوشب بن نفي بن الكوف التيمائي، لنفسه ولأولاده وأمه حب ولإخوته رؤوف وافتي وأولادهم (وهي) حرام كحرمة شريعة الأنباط وبني سلام إلى أبد الأبدين، ويلعن ذو الشرى كل مَن يدفن في هذه المقبرة غير مَن مكتوب (اسمه في النص) أو يشتري أو يبيع أو يُمكن أو يؤجر أو يتصرف (فيها)، ومَن يعمل غير ما هو مكتوب فليحضر معه لذي الشرى الإله بسبب التحريم المذكور أعلاه غرامة مقدارها ألف قطعة حارثية ولمولانا الملك الحارثة مثلها، في شهر شباط سنة عشر وثلاث من حكم الحارثة ملك الأنباط، محب شعبه» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٠ (اللوحة ٤)).

وهكذا، فإنه عندما يوضع القبر تحت حماية الآلهة، فإنه يعد محرماً، وبذلك يكتسب خصوصية المكان المقدس، كما هو الحال بالنسبة للمعبد. وفي النقش المذكور يظهر لنا جلياً ما يفرضه التحريم (التابو The taboo) على الشخص الذي يقوم بالاعتداء على المقبرة، والذي تضمن ثلاثة عناصر: معرفة الطابع المقدس للمقبرة؛ المنع الذي ينبع عن هذه المعرفة؛ ومن ثم العقاب الذي هو قصاص لكل من يخالف. وبناءً على ما سبق، نستطيع القول بأن التحريم هنا يدفع شيئاً ذا طابع مقدس (المقبرة) ويمنع استعماله، ويكون ديني في جوهره، وهو بمثابة كابح وضابط للناس. لذلك فإن اللعنة إذا ما اتصلت بفعل تحولّه إلى فعل محرم؛ وعليه، فإن كل مَن يدفن أو يغيّر المكتوب أو يشتري أو يبيع أو يؤجر أو يتصرف بالمقبرة هو انتهاك للاتفاقية المكتوبة والمثبتة عليها، وسوف يؤدي إلى نتائج غير محمودة، وسينتهي به الأمر بلعنة من الإله «ذو الشرى».

وبناءً على ما سبق في النقش السالف ذكره والنقوش الواردة في هذه الدراسة، يمكن تصنيف صيغ اللعنات في نقوش مقابر الحجر النبطية إلى ثلاثة أنماطٍ هي:

صيغ ورد فيها الجذر ل ع ن «لعن».

(ول ع ن ذوش را ك ل م ن دي ي ق ب ر ب ك ف ر ا دن هـ غ ي ر م ن دي ع ل ا ك ت ي ب او ي ز ب ن او ي ز ب ن او ي م ش ك ن ا و ي وج ر او ي هـ ب او ي ا ن ا) «ويلعن ذو الشرى كل مَن يدفن في هذه المقبرة غير مَن مكتوب (اسمه في النص) أو يشتري أو يبيع أو يُمَّكن أو يؤجر أو يتصرف (فيها)» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٠ (اللوحة ٤)).

(ول ع ن و ذ و ش ر ا و م ن و ت و و ق ي س هـ ك ل م ن د ي ي ز ب ن ك ف ر ا د ن هـ ا و ي ز ب ن ا و ي ر هـ ن ا و ي ن ت ن او ي وج ر او ي ت ا ل ف ع ل و هـ ي ك ت ب ك ل هـ ا و ي ق ب ر ب هـ ا ن و س) «ويلعن ذو الشرى ومناة وقيسه كل مَن يبيع المقبرة هذه أو يشتري أو يرهن أو يمنح أو يؤجر أو يضيف عليها كتابة أو يقبر بها إنسان» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٧ (اللوحة ٢)).

(ول ع ن ذ و ش ر ا ا ل هـ م ر ا ن ا و ا ل هـ ي ك ل هـ م م ن د ي ي ن ف ق و ش و ح د ي م ن ج و خ ا د (ن) هـ ل ع ل م) «ويلعن ذوالشرى إله سيدنا والآلهة كلهم مَن يخرج وشوح هذه من اللحد هذا إلى الأبد» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٠٠).

(و ي ل ع ن ذ و ش ر ا و م و ت ب هـ و ا ت م ن ع م د ن و م ن و ت و ق ي س هـ م ن ي ز ب ن ك ف ر ا د ن هـ ا و م ن ي ز ب ن ا و ي ر هـ ن ا و ي ن ت ن ي ت هـ ا و ي ن ف ق م ن هـ ج ت ا و ش ل و ا و م ن ي ق ب ر ب هـ) «ويلعن ذو الشرى وعرشه واللات من عمند ومناة وقيس مَن يبيع المقبرة هذه أو مَن يشتريها أو يرهنها أو يمنحها أو يخرج منها جثة أو

عظماً أو مَن يدفن بها» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٠٥ (اللوحة ١)).

(ف ي ل ع ن ف ر ش ل ي ل ي ا م ن ي م م ا م ن دي ي ن ف ق ي ت هـ م ل ع ل م) «ويلعن مفرق الليالي من الأيام مَن يُخرجهم إلى أبد الآبدين» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩١).

(و ل ع ن م ر ي ع ل م ا م ن ي ش ن ا ا ل ق ب ر و د ا و م ن ي ف ت ح هـ) «ويلعن سيد العالم مَن يغير (يشوه) القبر هذا ومَن يفتحه» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٠٦).

(و ي ل ع ن ذ و ش ر ا و م ن و ت و ك ل م ن ي غ ي ر م ن ك ل د ي ع ل ا) «ويلعن ذو الشرى ومناة كل مَن يغير ما هو (مكتوب) أعلاه» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٠٩).

(م ن دي ي ع ب د ك غ ي ر دي ع ل ا ك ت ي ب ف ا ي ت ي ع ل و هـ ي ك ف ل د م ي ا ث ر ا د ن هـ ك ل هـ و ل ع ن ت ذ و ش ر ا و م ن و ت و) «وكل مَن يعمل غير ما هو مكتوب فليكن عليه عقاب مضاعف لهذا المكان كله، ولعنات ذو الشرى ومناة» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٢١ (اللوحة ٨)).

هذا الضرب من اللعنات التي تحمل في طياتها الجذر (ل ع ن) ورد في عدد من اللغات السامية، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في ملحمة جلجامش: وصبّ اللعنة على المحظية. تعالي أيتها المحظية لأقرر لك مصيرك، مصير دائم إلى أبد الأبدين. وسوف ألعنك لعنة قوية، لتأتي لعناتك مبكرة (الأحمد ١٩٨٤: ٣٣١). وفي موضع آخر من الملحمة نجد انكيدو يلعن مومس أو روك: هيرودولا سأحدد مصيرك، أمن ملعونة اللعنة الكبرى، ستكون الأرض التي ترتاح عليها الجيوش بيت دعارتك، وستكون الطريق مسكنك، ويحتويك ظلام الجدران، وليضربك الظمأ والسكر (شمار ١٩٨٩: ٨٩). كما ورد في المعاهدات الآشورية: آلهة أيبر- ناري يلعنوك بلعنة شريرة (Pritchard 1969: 648). ونقرأ في شريعة حمورابي: عسى الإله أنليل بكلمة التي لا تتبدل أن يلعنه باللعنات المؤكدة حتى تقضي عليه بالحال (رشيد ١٩٧٩: ١٧٤).

وجاء في اللغة الفينيقية في نقش متش: وأيضاً أعطى متش لكلش حقل الأمير والكروم من حقل الأمير بجانب المدينة والكروم التي بجانب مل. وأيضاً بعل كر سكن بها فلُعن متش لعنة كبيرة (Lemaire 1989: 124-129). أما في اللغة الآرامية فقد ورد في نقش فنمو الثاني: النصب الذي أقام برراكب لفنمو بن بارصور ملك يأدي بسنة موته أبي فنمو بسبب عدل أبيه خلصته آلهة يأدي من دماره. اللعنة كانت ببيت أبيه (أبو عساف ١٩٨٨: ١٢٢-١٢٥). وفي أحد النقوش السبأية نجد التعبير عن اللعنة بالصيغة: (ا ل هـ ت م ذ ي ت ا ل هـ ن ه م ي ش ن ا هـ م و ب ع ل ي ح ص ي م ر ا ي ه م و) «(وليحميهم الإله من) اللعنة التي لعنهم إياها عدوهم بسبب رعايتهم سيدهم» (Jamm 1962: 84).

وحملت أسفار العهد القديم عدداً كبيراً من اللعنات من الأمثلة عليها: ملعونٌ غضبها فإنه شديد وسخطهما فإنه قاس (سفر التكوين ٤٩: ٧). وأسلمهم للقلق والسر في جميع ممالك الأرض عاراً ومثلاً وهزأة ولعنةً في جميع المواضع

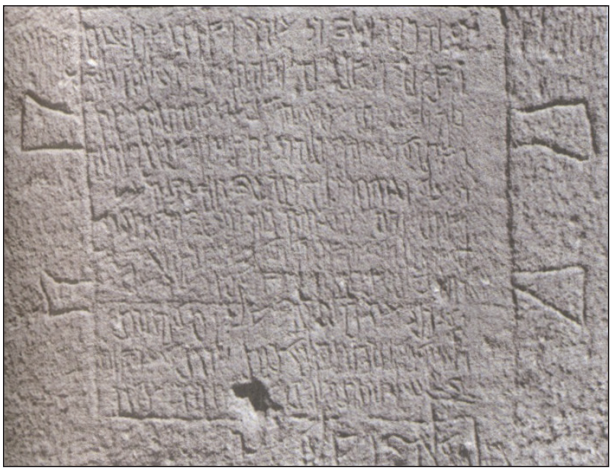

اللوحة ٦: نقش٢٠١

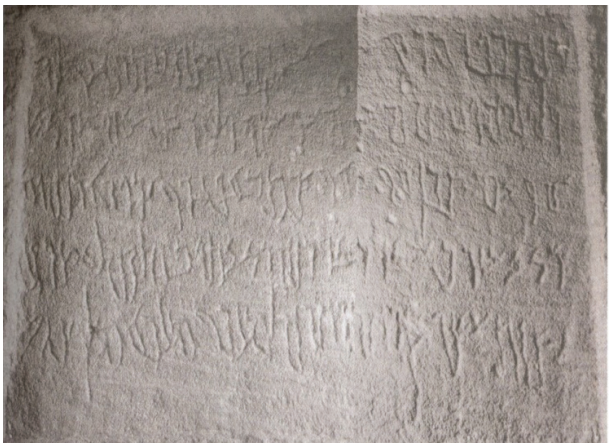

اللوحة ٧: نقش ٢١٦

التي أطردهم إليها. وأرسل عليهم السيف والجوع والوبأ حتى يفنوا عن وجه الأرض التي أعطيتهم وآباءهم إياها (إرميا ٢٤: ٨-١٠). ويسقي المرأة ماء اللعنة المر فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة (عدد ٥: ٢٤). والأرض تدنست تحت سكانها لأنهم تعدوا الشرائع غيروا الفريضة نكثوا العهد الأبدي. لذلك لعنة أكلت الأرض وعوقب الساكنون فيها. لذلك احترق سكان الأرض وبقي أناس قلائل (أشعيا ٢٤: ٥-٧)... الخ.

صيغ لعنات أُعدت لتسن كتشريعات على المعتدي كي تثنيه عن مزاولة بعض الأعمال، حيث أن هذه اللعنات النبطية جاءت على شكل نصوص قانونية فكل مَن يعتدي على القبر هو ملزم بدفع مبلغ من المال (غرامة) إلى الآلهة والكهنة والحاكم.

(و م ن دي ي ع ب د ك غ ي ر م هـ دي ع ل ا ك ت ي ب ف ا ي ت ي ع م هـ ل ذ وش را ا ل هـ ا ب ح ر م ا دي ع ل ا ل د م ي م ج م ر س ل ع ي ن ا ل ف ح ر ث ي و ل م ر ا ن ا ح ر ث ت م ل ك ك و ت) «ومَن يعمل غير ما هو مكتوب فليحضر معه لذي الشرى الإله بسبب التحريم المذكور أعلاه غرامة مقدارها ألف قطعة حارثية، ولمولانا الملك الحارثة مثلها» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٠ (اللوحة ٤)).

(و م ن د ي ي غ ي ر و ل ا ي ع ب د ك د ي ع ل ا ك ت ي ب ف ا ي ت ي ع م هـ ل م ر ا ن ا ك س ف س ل ع ي ن ا ل ف ي ن ت ر ي ن ح ر ث ي) «والذي يغير ولا يتبع المكتوب أعلاه فليحضر معه لسيدنا مبلغ ألفين قطعة حارثية» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٨ (اللوحة ٣)).

(م ن د ي ي ت ف ت ح ي ت هـ ا و ي ن ف ق ي ت هـ م ن ج و خ ا هـ و ل ع ل م ا ف ا ي ت ي ع م هـ ل م ر ا ن ا ح ر ث ت م ل ك ن ب ط و ر ح م ع م هـ س ل ع (ي) ن ا ل ف ح ر ث ي) «والذي سيفتحه أو يخرجهما من اللحد هذا إلى الأبد فليُحضر معه لسيدنا حارثة ملك الأنباط محب شعبه ألف قطعة حارثية» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٢٠)[٦].

صيغ احتوت فقرات أو عبارات تحذيرية.

(ول ارش ي ان و س ل م ك ت ب بٌ كٌ فٌ ر ا د ن هـ ت ق ف ك ل هـ ول ا ل م ق ب ر ب هـ ا ن و س ر ح قٌ ل هـ ن اصٌ د ق ب ا ص د ق و م ن (د ي ي ع ب) د كٌ غٌ ي ر د ن هـ ف ل ا اي ت ي ل هـ (ق ي) م) «ولا يحق لأي إنسان أن يكتب عن المقبرة هذه وثيقة ولا يدفن بها أي شخص غريب إن لم يكن له الحق قانونا وإن فعل غير ذلك فلن يكون له حق (مسوغ قانوني)» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٢).

(ول ا رش ي ان و س ع د ي يٌ دي ي ت ق ب ر ب هـ وم ن ي ب غ ا دي ي ك ت ب ب ك ف را دن هـ م و هـ ب هـ او ك ت ب ك ل هـ م ن ب ن ي ش بٌ ي ت و دي ع ل ا ا و ا ص (د)ق ي هـ م دي ل ا ي هـ وا ل هـ ب ك ف را د ن هـ ح ل ق) «ولا يحق لأي شخص غريب أن يدفن بها ومَن يرغب أن يكتب المقبرة هذه كهبة مكتوبة من أبناء شبيب الذين أعلاه أو ذريتهم بالمقبرة هذه لن يحق له المشاركة (فيها)» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٣).

(ف ق ي م ع ل و ش و ح و ب ن ت هـ ا ل هـ و ج ر هـ م ك ل هـ (م) ذ ك ر ا و ن ق ب ت ا دي ل ا ي ز (ب) ن و ن و ل ا ي م ش ك نٌ و ن و ل ا ي غ ي رٌ وٌ ن م ن و ج ر ا د ن هـ ل ا ن و س) « وملزم (يجب) على وشوح وبناتها هؤلاء وجواريهم كلهم ذكراً وأنثى ألا يبيعوا ولا يرهنوا ولا يغيروا المقبرة هذه لإنسان» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٠١ (اللوحة ٦)).

(و م (ن) د ي ي ع ب د ك غ ي ر د ن هـ دي ي ت و ب ح ل ق هـ ل ا ص د ق هـ) «ومَن يفعل غير ذلك يفقد حصته من الإرث» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢١٦ (اللوحة ٧)).

(و د ي هـ ن ي هـ و ا ب ا خ ر م ن ع ت د ن هـ غ و ي هـ د (ي ي ز ب) ن (ا و ي) م ش ك ن ح ل ق هـ م ن ك ف ر ا هـ و ف ا ي ت ي ح ل (ق هـ ح ر ي ج ل) اٌخٌرٌ (هـ ج ر و) د ا و هـ ن ي هـ و ا ب ا خ ر هـ ج ر و د ا (غ و ي) هـ ك وٌتٌ فٌ ا يٌ ت (ي) ح ل ق هـ (ح ر ي)ج ل ا خ ر م ن ع ت) «وإن كان ضمن ذرية منعة هذا غاوياً يبيع أو يمنح حصته من المقبرة هذه فلتكن حصته موقوفة لذرية هاجر هذا، واذا كان من ذرية هاجر غاوياً مثله فلتكن حصته موقوفة لذرية منعة» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ٢٢٠).

ولا تحتوي صيغ اللعنات في نقوش الضربين الثاني والثالث المذكورة سابقاً في جملة لعنتها على اللفظة «لعن»، إلا أنها تحتوي على لعنات ربما نستطيع تسميتها اللعنات الضمنية (substantive curses)، وهي تلك التي لا يظهر فيها

الجذر ل ع ن. وهكذا، فليس هنالك ما يدعو للدهشة بأن بعض النقوش القبورية حملت صيغ لعنات، وأن هذه اللعنات وجدت في كافة أنحاء الشرق الأدنى القديم، كون هذه اللعنات كانت من الضرورة بمكان على القبور كي لا تُنبش وتُنتهك وتُسلب وتُزعج الجثث التي بين جنباتها، وتستبدل كتاباتها ويعاد استخدام لحودها، أو ترهن أو تؤجّر أو تباع أو تفتح. ويبدو هذا جلياً في العديد من النقوش النبطية كما رأينا سابقاً؛ ومن الأمثلة عليه في اللغات السامية الأخرى، فقد ورد في اللغة الفينيقية في نقش أحيرام: وإذا ملك من الملوك وعامل من العمال ووالٍ من الولاة وقائد الجيش صعد على جبيل ويزيل التابوت هذا يُنتزع صولجان سلطته ويُقلب عرش ملكه وتذهب السلامة من جبيل وإن هو يمح نقشه فإنه لا بد لسلطته أن تزول وعرشه (Donner and Rölling 1968-1979: no. 1). وجاء في نقش تبنيت: كل إنسان يجد القبر هذا لا لا تفتح ما هو فوقي ولا تزعجني، لأنه لا يوجد فضة ولا يوجد هنا ذهب ولا ما هو ثمين ما عدا أنا أرقد بالتابوت هذا لا لا تفتح ما هو فوقي ولا تزعجني لأنه ممقوت لدى عشتارت هذا الأمر. وإذا فتحت ما هو فوقي فتحاً وإزعاجاً تزعجني لا يكون لك ذرية بين الأحياء تحت الشمس ولا قبراً مع الأموات (Donner and Rölling 1968-1979: no. 13). وحمل نقش اشمون عزر: وكل إنسان يفتح ما هو فوق مضجعي هذا أو الذي يرفع غطاء مضجعي أو الذي يحملني من المضجع هذا لا يكون لهم مضجع مع الأرواح، ولا يقبر بقبر ولا يكون لهم ابن ولا ذرية بعدهم وتسلمهم الآلهة المقدسة إلى حاكم جبار، الذي حكم عليهم ليبيدهم (Donner and Rölling 1968-1979: no. 14).

وكان هذا النوع من اللعنات يعد لتطبيق المعاهدات وضمان نتائجها، سواءً كانت معاهدات فردية أم جماعية، كما هو الحال في العقود التجارية، وجاء هذا النوع من اللعنات ليكون بمثابة عمل تُطبق من خلاله الأحكام والقواعد الاجتماعية؛ بمعنى الانضباط المذهبي والقوانين والسلوك الأصولي بشكل عام، وهذا جليّ من خلال الحقيقة أن الآلهة تستدعى لتؤكد سيادة القوانين وتطبيقها وأن أسماء الآلهة تظهر في هذه النصوص: (و ل ع ن و ذ و ش ر ا و م ن و ت و و ق ي س هـ «ويلعن ذو الشرى ومناة وقيسه»، و ي ل ع ن ذ و ش ر ا و م و ت ب هـ و ا ت م ن ع م د ن و م ن و ت و ق ي س هـ) «ويلعن ذو الشرى وعرشه واللات من عمند ومناة

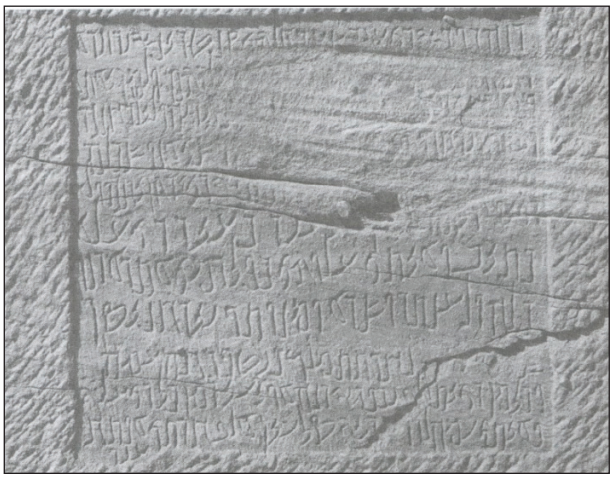

اللوحة ٨: نقش ٢٢١

وقيس» (الذييب ١٤٣١هـ: نق ١٩٧ و ٢٠٥). ومما لا شك فيه أن التضرع للآلهة في هذه الحالات الهدف منه الدفاع عن القوانين والاتفاقيات، والقصد منه وقائي، وهنا تكمن الفكرة الرئيسة في تطبيق هذه القوانين وضمان صلاحيتها، وكذلك استمرار الأذى ضد مَن يقترف خطأً، وأكثر الأمثلة على هذا الضرب من اللعنات في الشرق الأدنى القديم هو ما تضمنته النقوش القبورية، وربما يكون الدافع وراء ذلك أن القبور قديماً غالباً ما تكون مستهدفة من قبل السارقين والمعتدين، بسبب عادات شعوب الشرق الأدنى القديم وتقاليدهم بأنهم كانوا يضعون المقتنيات النفيسة من المعادن للشخص المتوفى في القبر، وهذا بالتأكيد جعل من القبور أهدافاً لنابيشها عبر التاريخ.

أخيراً، لقد أدت اللعنات عملها في المجتمع النبطي كضرب من أضرب الضوابط الاجتماعية للحفاظ على المحرمات فيه، وذلك كأداة لعقاب الأشرار وحماية القبور. فجميع هذه اللعنات كانت ترد في بدايات النقوش ونهاياتها؛ لكن السؤال الذي يطرح نفسه حول كلمة لعن وصيغها في النقوش النبطية وبعض اللغات السامية الأخرى: هل نشأت هذه الكلمة والصيغ في كل لغة نتيجة تطور طبيعي؟ أم هل كانت هناك علاقة مباشرة بينها؟ واذا لم يكن ظهور هذه الكلمة والصيغ نتيجة تطور طبيعي، فإنه يتبادر لنا السؤال: أين هو الموطن الأصلي؟ ومن أين تم اقتراضها؟ أو هل هذه الكلمة والصيغ في كل لغة استمدت من تراث أدبي مشترك؟ ربما كان هذا الظهور نتيجة تقليد أدبي مشترك ورابطة وراثية مباشرة.

د. زياد مصطفى سعد الشرمان: قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، الرياض.

الهوامش:

(١) Gevirtz, S. West Semitic Curses and the Problem of the Origins of Hebrew Law, **Vetus Testamentum** 11: 137-158, 1961.

(٢) Fensham, F. G. Maledictions and Benedictions in Ancient Near-East Vassal-Treaties and the Old Testament, **Zeitschrift für die Alttestamenliche Wissenschaft** 74: 1-9, 1962.

(٣) للمزيد، انظر أبو الحسن ٢١٢، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٣٦، ٢٦٠، ٢٨٨.

(٤) للمزيد، انظر الذييب: نق ٢٢١ و ٢٢٤.

(٥) للمزيد، انظر الذييب نق ١٩٧ و ٢١٨.

(٦) للمزيد، انظر الذييب نق ٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٤، ٢٢٦، ٢٢٨.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية

القرآن الكريم

العهد القديم

الأحمد، سامي سعد، ١٩٨٤، **ملحمة كلكامش**، بيروت: دار الجليل.

الأنصاري، عبدالرحمن الطيب وآخرون، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، **مواقع أثرية وصور من حضارة العرب في المملكة العربية السعودية، العلا (ديدان)، الحجر (مدائن صالح)**، الرياض، منشورات جامعة الملك سعود.

ابن منظور، الإمام أبوالفضل جمال الدين، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩ م، **لسان العرب**، بيروت: دار الكتب العلمية (١٥ مجلد).

أبو الحسن، حسين بن علي دخيل الله،١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، **نقوش لحيانية من منطقة العلا (دراسة تحليلية مقارنة)**، الطبعة الأولى، الرياض، وزارة المعارف، وكالة الوزارة للأثار والمتاحف.

أبو عساف، علي، ١٩٨٨، **الآراميون «تاريخاً ولغةً وفناً»**. الطبعة الأولى، طرطوس: دار أماني.

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، **المعجم النبطي دراسة مقارنة للمفردات والألفاظ النبطية**، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية.

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، **نقوش تيماء الآرامية**، الطبعة الثانية، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

الذييب، سليمان بن عبدالرحمن، ١٤٣١هـ، **مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية**، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز، مكتبة الملك فهد الوطنية.

ديل ميديكو، هـ. ي. ١٩٨٩، **اللآلي من النصوص الكنعانية**، بقلم كبير كهنة أوجاريت إيلي ميلكو، نقلها إلى العربية وعلق عليها مفيد عرنوق، الطبعة الثانية، بيروت: دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع.

رشيد، فوزي، ١٩٧٩، **الشرائع العراقية القديمة**، وزارة الثقافة والإعلام: دار الرسيد للنشر.

شمار، جورج، ١٩٨١، **المسؤولية الجزائية في الأداب الآشورية والبابلية**، ترجمة سليم الصويص، وزارة الثقافة والإعلام: دار الرشيد للنشر.

مرعي، عيد، ١٩٨٧، «يخدون-ليم ملك ماري (وثيقة تأسيس معبد إله الشمس «شماش» في ماري)»، **دراسات تاريخية**، العددان ٢٧-٢٨: ٩٩ – ١٠٧.

مرعي، عيد، ١٩٨٨، «إدريمي ملك الالاخ»، **دراسات تاريخية**، العددان ٢٩-٣٠: ١٠٣-١٢٦.

ثانياً: المراجع غير العربية

Abdelaziz, M. 2005. "Notes on the Nabataean Legal System"' **Dirasat**, Human and Social sciences, Volume 32, no. 1: 189-199.

CIAS, **Corpus des inscriptions et antiquités sud-arabes** I, Louvain.

CIS, 1881-1926. **Corpus Inscriptionum Semiticarum, Parisiis**.

Cooke, G. A. 1903. **A Text-Book of North-Semitic Inscriptions, Moabite, Hebrew, Phoenician, Aramaic, Nabataean, Palmyrene, Jewish**. Oxford:Clarendon Press.

Crawford, T. C. 1992. "Blessing and Curse in Syrio-Palestinian inscriptions of the Iron age"، **American University Study, Series** VII, Theology and Religion Vol. 120, Pp. 97-155, Frankfurt am Main.

Donner, H. and Rölling, W. 1968-1979. **kanaanäische und Aramäische Inschriften (KAI)**. Wiesbaden: Otto Harrassowitz.

Fensham, F. G. 1962. "Maledictions and Benedictions in Ancient Near-East Vassal-Treaties and the Old Testament", **Zeitschrift für die Alttestamenliche Wissenschaft** 74: 1-9.

Fensham, F. C. 1963. "Common trends in Curses of the Near Eastern Treaties and Kudurru-inscriptions compared with malediction of Amos and Isaiah", **Zeitschrift für die Alttestamenliche Wissenschaft** 75: 155-175.

Gevirtz, S. 1961. "West Semitic Curses and the Problem of the Origins of Hebrew Law", **Vetus Testamentum** 11: 137-158.

Gibson, J. L. 1975, **Text Book of Syrian Semitic Inscriptions, Aramaic Inscriptions**. Vol. 2, no. 5, Oxford: Clarendon Press.

Gibson, J. L. 1982. **Text Book of Syrian Semitic Inscriptions, Phoenician Inscriptions Including Inscriptions in the Mixed Dialect of Arslan Tash**. Vol. 3, Oxford: Clarendon Press.

Harding, G. L. 1954. **Some Thamudic Inscriptions from the Hashimite Kingdom of Jordan**, Leiden.

Healey, J. 1993. **The Nabataean Tomb Inscriptions of Madā'in Ṣāleḥ**, Oxford: Oxford University Press.

Hillers, D. R. and Cussini, E. 1996. **Palmyrene Aramaic inscriptions**, Baltimore, London.

Jamm, A. 1962. **Sabaean Inscriptions from Mahram Bilgis (Marib)**, Publication of the American Foundation for the Study of Man, Vol. III, Bltimore.

Khairy, N.1980 . "An Analytical Study of the Nabataean Monumental Inscriptions at Madā'in Ṣāleḥ", **Zeitschrift des Deutschen Palästina-Vereins** (1953-) Bd. 96. H. 2 (1980), Pp. 163-168.

Lemaire, A. 1989. "Une Inscription Phénicienne d'écouverte récemment et le marriage de Ruth la Moabite", **Eretz-Israel** 20: 124-29.

Lipinski, E. 1994. **Studies in Aramaic inscriptions and Onomastic II**. Leuven: Uitgeveru Peeters en Departement Oriëntalistick.

Littmann, E. 1940. **Thamūd und Ṣafā Studen zur altnordarabischen Inschriftenkunde,** Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes 25/ 1, Leipzig.

Luckenbill, D. 1968. **Ancient Records of Assyria of Babylonia**, vols. I and II, New York: Greenwood Press.

Maraqten, M. 1998. "Curse Formulae in South Arabian Inscriptions and some of their Semitic Parallels", **Arabian Studies**, Vol. 28, papers from the Thirty-first Meeting of the Seminar for Arabian Studies held in Oxford, 17-19 July 1997, Archaeopress.

Oxtoby, W.G 1968. **Some Inscriptions of the Safaitic Beduins, New Haven.**

Parr, P. et.al. 1Preliminary Survey in North-Western Arabia 1968. **Bulletin of the Institute of Archaeology (BIA)**, Vol 10.

Pritchard, J. B. 1969. **Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament,** New Jersey: Princeton University Press.

RES, **Répertoire d'épigraphies sémitiques**, Paris.

Röllig, W. 1974. Eine Neue Phoenizsche Inschriften aus Byblos, in **Neue Ephemeris für Semitische Epigraphik**, Band 2: 1-15.

Sader, H. S. 1987. **Les états Aramméen de Syrie depuis leur foundation jusqu'á leur transformation en provinces Assyriennes**. Wiesbaden: Steiner.

Tropper, J. 1993. "Die Inschriften von Zincirli. Neue Edition und Vergleichende Gramatik des Phönizischen, Sam'alischen und Aramäische Text Korpus", **Abhandlungen zur literature, Alt-Syrin-Palästinas**, Band 6, Münster: Ugarit-Verlag: 159-63

Winnett, F. and Harding, G. 1978. **Inscription from Fifty Safaitic Cairns**, Toronto.